

«مجلس سوريا الديمقراطية» من الباب إلى واشنطن: «لسنا انفصاليين».. ولكن

على وجودها فيها سياسياً وعسكرياً).

دمشق وموسكو

الحديث عن «الانفصال» و«الفدرلية» يستتبع بطبيعة الحال حديثاً عن العلاقة مع الدولة السورية. الخطوط ليست مقطوعة لكن الاختلافات كثيرة. يبدو واضحاً أنّ أسباب «الانفجار الكبير» في العلاقة بين الطرفين قائمة، لكنه مؤجل مع رهان على احتمال «الوصول إلى حل ما». ما حصل في الحسكة قبل فترة «كان كارثياً، ويتحمل الطرفان مسؤوليته». أما الدور الروسي فكان «مثالياً». موسكو وفقاً للحاضرين «مؤهلة ل أداء دور محوري في الوصول إلى تسوية تاريخية لازمة السورية باكملها. علاقتنا معها ممتازة، وهي الطرف الذي أصّر باستمرار على وجوب مشاركة الأكراد في أي محادثات تنشأ الوصول إلى حل سياسي».

الولايات المتحدة «تحالف الضرورة»؟

يرى ريزان حدّو أنّ «التحالف مع الولايات المتحدة فرض على قوات سوريا الديمقراطية». يؤكد أنّ «مرحلة الدفاع عن كوباني (عين العرب) كانت مصيرية. تركنا الجميع في مواجهة إرهاب داعش» الذي كان في أوج قوته، ويحظى بدعم تركي مفتوح، وأمام ذلك الظرف الوجودي جاء الخيار الأميركي. يرفض الجميع هنا مقارنة هذه الحالة بتعاون كثير من المجموعات المسلحة ومنها «جبهة النصرة» مع الكيان الإسرائيلي. «الأسباب كثيرة، على رأسها أننا في كوباني كنا في حالة دفاع عن أرضنا ووجودنا. كما أنّ الولايات المتحدة قوة عظيمة حاضرة في كل ملف العالم» يقول حدّو. ويضيف أحمد الأعرج «حتى دول المواجهة مع إسرائيل، التي لا تعترف بها، تقيم في الوقت نفسه علاقات بحكم الضرورة مع الولايات المتحدة». ماذا عن القواعد الأميركية السبع في مناطق سيطرة الأكراد؟ وما الفرق بين رفع العلم الأميركي أو التركي داخل أراض سورية؟ تتمحور ردود الجميع حول «المطامع التركية الترابخية في سوريا»، وحول الاختلاف الجوهر بين «رفع العلم الأميركي في قاعدة عسكرية، والتركي فوق مبنى بلدية كما حصل في جرابلس».

الباب وهنجر

تحظى معركة الباب بأهمية قصوى لدى «مجلس سوريا الديمقراطية»، ولا تراجع عن خوضها. حديث الأتراك والمجموعات المسلحة المنضوية تحت لواء «درع الفرات» عن «توسع العملية نحو الباب» لا يغيّر من الأمر شيئاً. «حتى لو حصل ذلك فستبقى الباب بالنسبة إلينا مُحْتَلَّة، والاختلاف فقط استبدال الاحتلال الداعشي بأخر تركي، وفي الحالتين نحن عازمون على تحريرها». يختلف الأمر إذا قرّر الجيش السوري وحلفاؤه خوض المعركة نحو الباب، فد «الأرض سورية». ويضيف أحد الحاضرين «إذا حرّرها الجيش فسيحتاج إلى مقاتلين من أجل التثبيت والانتشار، جزء كبير من مقاتلين ينحدر من منطقة الباب وقراها مثل قباسين وغيرها». يتحدثون عن «إحصائية أجريت للوقوف على عدد القرى الكردية تاريخياً في المنطقة»، ويؤكدون أنّ عددها «يتجاوز المئة!». تبدو «قسد» مطمئنة إلى أنّ «تركياً لن تجرّ على مهاجمة منبج». نسال عن حقيقة وجود مقاتلين فرنسيين وبريطانيين ومن جنسيات أخرى في منبج، «هذا صحيح، يوجد أيضاً كنديون، وألمان، ومن جنسيات أخرى هؤلاء متطوعون، قضيتهم الأولى والأخيرة التصدي للكفريين». يأخذ الأمر وفقاً لتوصيفهم شكلاً أشبه ب«النضال ضد الجهاد».

صهيب...

كلام كثير يُقال عن «سعي الأكراد إلى الانفصال عن سوريا»، وعلاقة ذلك بتحالفات «مجلس سوريا الديمقراطية» مع الولايات المتحدة وغيرها. وخلال جولة «الخبار» في منطقة عفرين دارت أحاديث كثيرة مع عدد من المسؤولين الأكراد في المنطقة تناول ما سبق، وغيره

في المنطقة على معظم من نلتقيهم من «المجالس». «أكراد سوريا ليسوا انفصاليين»، يتمسك الجميع بـ«هذه الحقيقة»، ويعزّون رواج كل ما يناقض ذلك إلى «البروباغندا التي يمارسها الإعلام، ولا سيّما المحسوب منه على المحور التركي». في المقابل يشددون على أنّ «حقوق الأكراد السوريين هُضمت على امتداد عقود، وتعرّضوا لكثير من التضييق والتمييز». ينقل أحدهم عن «رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي» صالح مسلم قوله في غير مناسبة «فليُنص الدستور السوري ولو بسطر واحد على حقوق الأكراد». بعيد المتحدّثون جذور «المظلومية الكردية» إلى ما قبل وصول «حزب البعث إلى السلطة»، لكنهم يحملونه «مسؤولية

في أحد منازل قرية كفرنايا، وداخل غرفة يتصدّرها شعار «المقاومة الوطنية السورية» يستقبلنا عدد من مسؤولي «مجلس سوريا الديمقراطية». ريزان حدّو «عضو الأعرج في التحالف الوطني الديمقراطي السوري»، وعلي محمود «مسؤول ملف الإغاثة في مناطق الشهباء». جميعهم «قادة في المقاومة الوطنية السورية» أيضاً. والأخيرة هي تجمّع كان قد أعلن تشكيله في أيلول الماضي، من دون أي فعل حتى الآن («الخبار»، العدد 2979). يؤكّد الحاضرون أنّ «التحالف» ليس مجرد «ظاهرة إعلامية»، وأنّ «العمل جارٍ لترتيب كثير من الأوراق»، والعمل الميداني «سينطلق في اللحظة المناسبة». يبدو واضحاً أنّ «الثقل» الأساسي للتحالف المذكور يتمركز في هذه المنطقة، ويمكن تخمين أنّ «المقاومة السورية» تحوّلت لحامل يستقطب معظم المكونات العرقية الموجودة تحت شعار «مقاومة الاحتلال التركي» الأخذ بالاقتراب أكثر فأكثر. يوضح «القادة» أنّ منطقة الحسكة «تضمّ مكاتب للمقاومة السورية، لكنها لم تنشط بقدر مماثل لما هو الحال هنا بعد». ثمة «مكاتب أيضاً خارج سوريا»، يُشدد الجميع على «البُعد الوطني لتحالف المقاومة السورية». يحكون عن «عروض تمويل» تلقوها من غير جهة، وعلى رأسها الداعية التركية فتح الله غولن. لكن تلك العروض «رفضت لأن أصحابها يريدون تسخير مشروعنا الوطني لخدمة مصالحهم». الموقف من أنقرة هو الأشد وضوحاً: «تركيا في نظرنا تساوي إسرائيل، كلتاها محتلة تجب مقاومتها». التأكيد مستمر على «مناصرة القضية الفلسطينية»، ويستند إلى «تشابه المعاناة بين الشعبين الفلسطيني والكرد مع اختلاف الظروف والمسببات».

«انفصاليون» أم «وطنيون»؟

نطرح أسئلة كثيرة خلال جولتنا



عروض تمويل تلقاها «المجلس» من جهات خارجية عدة



استمرارها طيلة هذه العقود». يتمسكون أيضاً بـ«دور الأكراد في الحفاظ على وحدة الأراضي السورية خلال الأحداث الراهنة»، وبأنّ «الوجود الكردي حال دون سقوط الشمال السوري في قبضة الأتراك وأذرعهم». لا يجد المتحدّثون اختلافاً بنوياً بين هذا الكلام وبين «مواقف الأكراد في مناطق شرق الفرات». يعزّون تفاقم التوتر في الحسكة إلى أسباب كثيرة مثل «الأثار السلبية التي خلّفها الإحصاء الاستثنائي (عام 1962)، ومواقف بعض العشائر العربية العداوية هناك». وينفون في الوقت نفسه أن يكون انفرادهم في السيطرة على منطقة عفرين سبباً لاختلاف الحال بينها وبين الحسكة (التي تحافظ الدولة السورية



هناك يتمركز الجيش السوري، هناك «داعش»، وفي ذلك الاتجاه «جبهة النصرة وشركاؤها». في إحدى المزارع يتمركز مجموعة من مقاتلات «وحدات حماية المرأة». يحدثنا المرافقون عن المضاعف التي اعترت تشكيل أول «كتيبة» للمقاتلات، بفعل «طبيعة المنطقة المبالغة إلى المحافظة». لاحقاً توسعت «الكتيبة» إلى «جبهة حماية المرأة للشهباء»، ولعبت «دوراً أساسياً في تحرير قرى حربل، أم حوش، وأم القرى من تنظيم داعش». داخل مزرعة أخرى نلتقي مجموعة من المقاتلين من مختلف الأعمار والمناطق. المزرعة أشبه بـ«استراحة المقاتل». يعتذر أحد قياديين المجموعة لأنه مضطر للانسحاب من الجلسة، يقول ببساطة «ابني عمره 6 شهور كان مريض وبعتناه عالشام، بس مات، هال عم يخبروني إنو وصل، بدي روح أدفنو». يصعب تمييز المقاتلين العاديين من «القياديين»، لا يمكن الاستدلال على ذلك بطريقة تعامل أو لهجة خطاب. وحده السن قد يقدم مؤشراً ما. خطوط الاشتباك مع «داعش» تنشط غالباً في الليل. لا يخلق «طيران التحالف» في المنطقة، بل هي منطقة عمليات للطيران الروسي. يشير أحد المرافقين إلى مقاتل ويقول «كان ساكن بعفرين وبدو يتجوز على مرتو، هونيك بينحس إذا عملها. لاقى الحل بإنو ينتقل لها المنطقة، هون بيقدّر يتجوز قد ما بدو». يستشهد المرافقون بهذه الحالة للحديث عن «تطبيق اللامركزية داخل اللامركزية، حيث لكل منطقة قوانينها التي تناسبها». تُطبق «الإدارة» مبدأ «التجنيد الإلزامي» لكل شاب بين الثامنة عشرة والثلاثين من عمره. مدة الخدمة تسعة أشهر، يعفى منها الوحيد أو صاحب الموانع الصحية، ولا يعفى من سبق أنّ أدى الخدمة في الجيش السوري. المجندون إلزامياً «غالباً لا يكونون على الجبهات، بل في مناطق التثبيت». ويتولى الخطوط الأمامية مقاتلو «وحدات حماية الشعب» و«قوات سوريا الديمقراطية».

بينها «داعش»، وبطبيعة الحال هناك دائماً «تجار» يبرعون في هذا النوع من العمل.

تلك رفعت: الخراب سيد الموقف

يختلف الحال جذرياً في تل رفعت. الدمار الكبير طاول أكثر من 60 في المئة من مباني المدينة. لا ملامح مدنية وسط هذا الخراب باستثناء مجموعات متناثرة من المستندين أمام بعض البيوت هنا وهناك. نزح معظم السكان هرباً من الحرب لا سيّما في ظل اشتداد القصف، ويبدو أنّ كثيراً منهم فضل تركياً أو المناطق الحدودية على المناطق المجاورة الواقعة تحت سيطرة «قوات سوريا الديمقراطية». في مقر «المجلس المدني» اجتمع لبحث «الواقعين الخدمي والتعليمي». ورغم الخواء الذي لحظناه في الطرقات، يؤكد أحد أعضاء «المجلس» أنّ «عدد العائلات الموجودة بقارب الستمئة». ويبدو أنّ قلة عدد السكان انعكست «توازناً» في توافر المحروقات والخبز والكهرباء. يُعبر أحد أعضاء المجلس عن سعادته بـ«توافر كميات من القرطاسية والحقائب المدرسية كانت موجودة في المستودعات (التابعة للائتلاف المعارض) ونوزعها الآن مجاناً».

حربك وأم حوش: منطقة عسكرية

من تل رفعت ننتقل نحو الجنوب الشرقي إلى حربل وأم حوش تناعاً. البلدتان عبارة عن «منطقة عسكرية» لا سيّما أم حوش التي تشكل خط اشتباك أمامي وساخن مع «داعش». نعبر نقاطاً وتمركزات لمختلف مكونات «قسد» مثل «جبهة الأكراد»، و«قوات العشائر» و«جيش الثوار». يشير أحد المرافقين إلى نقطة على جانب الطريق «هونيك في مقبرة جماعية تركها داعش، فيها حوالي 60 جثة، ما منعرف إذا جنود سوريين أو من المعارضة». خلال الجولة يشيرون لنا إلى مختلف الاتجاهات: